أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير :
د . محمد رفعت الإمام
مستشار التحرير للمواد الأرمنية :
بيرج ترزيان
سكرتير التحرير :
على ثابت صبرى

العنوان : ٢٦ ش مراد بك ـ صلاح الدين
مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com
رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : ديزاين آرت
ت : ٨١ ٧١ ٩٤٢ ٠١٢٧ ـ ١٩ ٠٨ ٢٤٣٣
da_emad@yahoo.com

المحتويات

الموضوع | الصفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســـــم : ....
المهـــنـــة : ....
الـــعـــنـــوان : ....
البريد الإلكترونى : ....
الـتـلـيـفـون : ....



خبراء يلتقون فى يريڤان من أجل التخطيط لمئوية الإبادة الأرمنية

بقلم : هاروت ساسونيان

فى ٢٢ ـ ٢٣ مارس ، التقى فى يريڤان أكثر من أربعين متخصصاً فى الإبادة الأرمنية ، من تسعة بلدان ، للتخطيط حول كيفية وضع إطار قانونى للتخفيف من الآثار السلبية للإبادة الجماعية ، مقابل الإنكار التركى ، وتنظيم برامج لدراسات الإبادة ومعارض متحفية . والمؤتمر تنظمه لجنة الدولة لتنسيق الأنشطة الخاصة بحلول الذكرى المئوية للإبادة الأرمنية .

وفى رسالته إلى المؤتمر ، عبر الرئيس سيرچ سركيسيان عن أسفه لأن الإبادة الأرمنية قد مرت دون عقاب مرتكبيها ، وهى التى مهدت الطريق للهولوكوست اليهودى ، وأعرب عن أمله بأن تكون الذكرى المئوية مناسبة لإظهار اتفاق وعزيمة الأرمن على التخفيف من عواقب الإبادة ، وضمان تحقيق العدالة بأثر رجعى ، وأن يُسلموا إلى الجيل القادم طرائق جديدة للنضال والبقاء . وقد رحب الرئيس بحقيقة أن هناك المزيد من عناصر ذوى ضمائر حية فى الذين يُحطمون جدار الصمت والإنكار ، ويعيون بحث السياسات الارتجاعية لبلادهم . وطلب الرئيس من المشاركين فى المؤتمر أن ينتهوا إلى اقتراحات تُقدم إلى لجنة الدولة لإحياء الذكرى المئوية للإبادة الأرمنية .

وإليكم ملخص للتعليقات التى أدلى بها بعض خبراء الإبادة المشاركين فى مؤتمر ٢٢ ـ ٢٣ مارس :

انتقد الباحث الإسرائيلى يائير أورون سياسة دولة إسرائيل لعدم اعترافها بالإبادة الأرمنية ، ولكنه أشار إلى أن شريحة كبيرة من الجمهور الإسرائيلى تعترف بها . صرّح البروفيسور أورون بأن إسرائيل ، التى عانت من مأساة مماثلة أثناء الهولوكوست ، كان ينبغى أن تكون أول بلد يعترف بالإبادة الأرمنية .

حث المؤرخ ريتشارد هوڤانيسيان من لوس أنجلوس ، لجنة الدولة على التخطيط لأحداث ومناسبات فنية وثقافية بدلاً من المؤتمرات الأكاديمية للوصول إلى عدد أكبر من الناس فى جميع أنحاء العالم . واقترح تنظيم أوركسترا فيلهارموتية أرمنية تجوب أنحاء العالم فى الأشهر السابقة على ٢٤ أبريل ٢٠١٥ . كما عبر عن قلقه من أن الحكومة التركية لديها استعدادات لمواجهة الأنشطة المئوية التى يُخطط لها الأرمن .

هايك ديمويان ، يكرتير لجنة الدولة ومدير متحف الإبادة فى يريڤان ، قدم إلى المشاركين فى المؤتمر خطط التوسع المزمعة فى المتحف حتى عام ٢٠١٥ .

علّق البروفيسور ڤاهاكن دادريان من نيويورك ، بأنه عندما يكون البلد الذى ينتهج سياسة الإنكار ضعيفاً ، فهو يقبل

جرائمه بسهولة أكثر . وقال دادريان أنه طالما ظلت تركيا بلداً قوياً ، فلن تعترف بالإبادة الأرمنية .

اقترح الباحث مهران ميناسيان من حل ، إقامة مناسبات الإحياء مع اليونانيين والآشوريين . وأشار إلى أن المنكرين الأتراك لم يتهموا أعضاء هاتين المجموعتين العرقيتين بالالتحاق بالجيش الروسى أو تشكيل عصابات مسلحة ، إلا أنهم أيضاً كانوا ضحايا للعنف الجماعى والإبادة .

أوضح البروفيسور نيكولاى هوڤهانيسيان من يريڤان الإمبراطورية العثمانية وليست أوروجواى ، على العكس من الاعتقاد السائد ، كانت هى أول بلد يعترف بالإبادة الأرمنية من خلال أحكام المحاكم خلال افترة من ١٩١٩ وحتى ١٩٢٦ . وقد اعترف برلمان أوروجواى بالإبادة الأرمنية عام ١٩٦٥ .

ڤلاديمير ڤارتانيان ، رئيس إدارة المعاهدات الدولية فى المحكمة الدستورية الأرمنية ، صرّح بأن مفهوم «جرائم ضد الإنسانية» استُخدم لأول مرة فى ٢٤ مايو ١٩١٥ فى إعلان مشترك بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، لتحذير المسئولين الأتراك بأنهم سوف يُعتبرون مسئولين عن المذابح الأرمنية . وبالمثل ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وجهت محكمة نورمبرج اتهاماً لمجرمى الحرب النازيين بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وليس إبادة . ويقترح ڤارتانيان أن تُنشئ جمهورية أرمينية كياناً دائماً خاصاً بالدولة تكون مهمته بحث وتطوير الإطار القانونى للسعى الحثيث نحو المطالبات ذات الصلة بجريمة الإبادة من تركيا فى المحاكم الدولية .

رچيب زاراكولو ، وهو أحد نشطاء حقوق الإنسان الأتراك ، من إسطنبول ، وقد تعرض للسجن مرات عديدة لنشره الكتب عن الإبادة الأرمنية ، تحدث عن «صناعة الإنكار المتنامية فى تركيا» . وهو يرى أن هذا الأسلوب الإنكارى شجّع الإرهاب فى تركيا .

وبصفتى كمشارك فى مؤتمر الإبادة ، تحدثت عن الحاجة للسعى الحثيث نحو الحصول على «العدالة» وليس مجرد «الاعتراف بالإبادة» ، وهو الأمر الذى قد تحقق بالعفعل . إن مفهوم العدالة يشمل كل المطالب الأرمنية من تركيا : التعويض المعنوى ، والمالى ، والإقليمى .

وقد اقترحت أيضاً أنه قبل التخطيط لأى أنشطة معينة لمئوية الإبادة ، على الأرمن فى كل مكان من العالم أن يقدموا رسالة واحدة ومجموعة من الأهداف المتفق عليها . وإلا ، فسوف تخرج منهم رسائل مختلطة إلى تركيا وإلى المجتمع الدولى بالنسبة لما يُريدون ويسعوهن إلى تحقيقه فى ٢٤ أبريل ٢٠١٥ .

وأخيراً ، فإن السعى لتحقيق المطالب الأرمنية لا ينبغى أن ينتهى فى عام ٢٠١٥ . فينبغى عليهم الثبات فى السعى لتحقيق مطالبهم العادلة من تركيا حتى يحصلوا على «العدالة» لقضيتهم .

إصـــــدارات

صدر مؤخراً عن دار الفارابى ببيروت كتاب «مذكرات جمال باشا» تأليف : جمال باشا وإعداد : محمد السعيدى . والكتاب هو الأول فى سلسلة سوف تستعرض حقبة الإمبراطورية العثمانية تحت قيادة الاتحاد والترقى ١٩٠٨ - ١٩١٨ . وتُراهن السلسلة على رصد مصير العرب والأرمن وفلسطين فى خواطر القادة الأتراك ومذكراتهم .

الصحافة الأرمنية فى مصر

عرض : عطا درغام

إعداد : د. سورين بايراميان

صدر مؤخراً عن مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة كتاب «الصحافة الأرمنية فى مصر» من إعداد د. سورين بايراميان . والكتاب فى الأصل ، صدر عام ٢٠٠٥ باللغة الأرمنية فى مناسبة مرور ١٤٠ سنة (١٨٦٥ ـ ٢٠٠٥) على صدور أول دورية أرمنية فى مصر . والكتاب الذى نعرض له هنا هو ترجمة النص الأرمنى إلى اللغتين العربية والإنجليزية .

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب عبارة عن قائمة بيبلوغرافية مفصلة للدوريات الأرمنية التى صدرت بمصر منذ عام ١٨٦٥ وحتى عام ٢٠٠٥ . وحرى بالتسجيل أن د. سورين بايراميان قد نجح فى جمع أكبر كمية معلومات ممكنة عن «١٦٥» دورية من حيث : اسم الجريدة بالأرمنية وترجمتها إلى اللغتين العربية والإنجليزية ، توجه الدورية ، مكان إصدارها ، تعداد إصدارها ، الهيئة الإدارية والتحريرية ، عدد الصفحات ، مقاس الصفحة ، سعر النسخة ، إجمالى الأعداد الصادرة . . . إلخ .

والمعروف فى التاريخ الأرمنى العام أن باكورة الطباعة الأرمنية ترجع إلى عام ١٥١٢ فى مدينة البندقية الإيطالية عندما قام هاجوب ميغابارد بطباعة «٥» كتب بين عامىّ ١٥١٢ ـ ١٥١٣ . وفى عام ١٧٩٤ وُلدت الصحافة الأرمنية عندما أصدر الأب هاروتيون شماڤونيان صحيفة بإسم «أزدارار» (المنذر) الشهرية بمدينة مدراس الهندية .

ويشهد عام ١٨٦٥ ميلاد الصحافة الأرمنية فى مصر عندما أصدر الصحفى أبراهام مراديان ـ أبو الصحافة الأرمنية فى مصر ـ صحيفة (أرماڤينى) «سعف النخيل» بالقاهرة . وبذا ، دخلت الصحافة الأرمنية مصر بعد مرور «٦٧» عاماً على بدء الطباعة فى مصر على أيدى الحملة الفرنسية (١٧٩٨) وبعد مرور «٤٤» سنة على تأسيس مطبعة بولاق (١٨٢١) زمن محمد على باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) .

ومنذ إصدار «أرماڤينى» فى عام ١٨٦٥ ، توالت الإصدارات الصحفية الأرمنية حتى بلغت «١٦٥» إصدار فى عام ٢٠١٠ ، خرجت من «٥١» مطبعة ، منها «٣٧» فى القاهرة و«١٤» فى الإسكندرية . ومن الرقم المذكور ، أصدرت «١١٧» دورية فى القاهرة ، و«٣٧» فى الإسكندرية ، بينما صدرت دوريات أخرى بالتوالى فى القاهرة ثم الإسكندرية والعكس . وتجدر الإشارة إلى أن معظم الإصدارات الصحفية شهرية وعددها «٤٣» ، يليها الأسبوعية بـ «٣٢» إصدار ، ثم

النصف شهرية بـ «٢٢» إصدار . أما الصحافة اليومية ، فقد بلغت سبعة جرائد .

ونظراً لضيق مساحة العرض ، سوف نقف على أبرز محطات الصحافة الأرمنية . ولذا ، يجب البدء بجريدة «أرماڤينى» التى صدرت يوم ١٦ مارس ١٨٦٥ ؛ أى منذ «١٤٨» سنة خلال هذا الشهر ، وهى جريدة سياسية قومية علمية ، صدر منها أربعة أعداد فقط . صاحب الامتياز هو هوڤسيب أفندى مانوحيان ، المحرر أبراهام مراديان ، تحت إدارة المدرسة الأهلية (الأرمنية) بالقاهرة . وقد صدرت فى أربع صفحات مقاس (٣١ × ٤٧ سم) واشتراكها نصف ليرة مصرية .

وفى ٢ يناير ١٨٨٩ ، أصدر كل من أنطون رشدونى والأب غيڤوند پاپازيان وڤاهان ماما سيان جريدة «نيغوص» (النيل) بالإسكندرية ، وهى جريدة أسبوعية قومية سياسية محلية ، صدرت فى أربع صفحات مقاس (٣٥ × ٥٠ سم) بسعر ١ قرش صاغ . وقد بلغ إجمالى الأعداد الصادرة منها «١٨» عدداً . وفى عام ١٨٩٨ ، صدرت جريدة «ماچاج» (الاسم القديم لمدينة قيصرية) بالقاهرة على أيدى المحرر هوڤهانيس بالكچيان . وكانت تصدر كل ثلاثة أيام باللغة التركية والحروف الأرمنية . هذا ، وقد صدر منها «٢٥» عدداً .

وسيراً على هذا الدرب ، رصد د. بايراميان دوريات من قبيل : أرشالويس (الفجر) ، نور أور (اليوم الجديد) ، آزاد بيم (المنبر الحر) ، لوساپير (جالب النور) ، لوساپير - أريڤ (جالب النور - الشمس) ، ميوتيون (الاتحاد) . وتجدر الإشارة إلى أن جرائد «هوسابير» و«أريڤ» و«چاهاكير» و «ديغيجادو» قد تبوأت مكانة محورية فى أسرة الصحافة الأرمنية المصرية . ولذا ، سوف نستطرد فى استعراضها نسبياً .

فى ٣٠ مارس ١٩١٥ ، صدر العدد الأول من جريدة «هوسابير» (جالب الأمل) ، وهى جريدة سياسية أدبية اقتصادية عامة بالقاهرة . وظلت تصدر كل يومين حتى أول فبراير ١٩٢٦ فصارت تصدر يومية . ومنذ أبريل ١٩٨٩ ، صارت تصدر حتى الآن خمس مرات أسبوعياً . وكان حزب الطاشناق بمصر ناشرها منذ عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٤٥ ، ومنذئذ ، نشرتها جمعية الثقافة الأرمنية «هوسابير» . وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجمعية أصبحت صاحبة امتياز الجريدة منذ عام ١٩٧٩ . ورصد د. بايراميان رؤساء تحرير الجريدة منذ أولهم سورين بارتيڤيان (١٩١٥ - ١٩١٦) حتى رئيس التحرير الحالى زاڤين ليلوزيان الذى تقلد موقعه منذ عام ١٩٨٧ خلفاً للدكتور سورين بايراميان - محرر هذا الكتاب - والذى رأس التحرير منذ عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٨٧ . وجدير بالتسجيل أن جريدة «هوسابير» قد أصدرت ثمانية أعداد خاصين منها على سبيل المثال : عدد نوفمبر ١٩٥٠ بمناسبة مرور ستين عاماً على تأسيس حزب الطاشناق (١٨٩٠) ، عدد ١٨ ديسمبر ١٩٥٤ بمناسبة مرور ١٦٠ عاماً على تأسيس الصحافة الأرمنية ، عدد أبريل ١٩٦٥ بمناسبة مرور خمسين عاماً على مذابح الأرمن (١٩١٥) . . . إلخ .

وفى ١١ مايو ١٩١٥ ، صدر العدد الأول من جريدة «أريڤ» (الشمس) بالإسكندرية ، وهى جريدة سياسية وأدبية واقتصادية . ظلت الجريدة تصدر كل يومين حتى ٧ ديسمبر ١٩٢٢ ، ثم يومية اعتباراً من ٨ ديسمبر سنتذاك . وفى ٢٩ يولية ١٩٢٤ ، غادرت الثغر السكندرى إلى عاصمة الديار المصرية لتواصل إصدارها يومياً منذ ٩ أغسطس ١٩٢٤ . واعتباراً من ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٥ ، صدرت كل يومين ، ومن أول يولية ٢٠٠٨ كل ثلاثة أيام . ورصد د. بايراميان أصحاب الامتياز بدءاً من ليڤون مجرديتشيان (١٩١٥ - ١٩٢٤) حتى

«الصندوق الأهلى الأرمنى» اعتباراً من ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ وحتى الآن . وكان ناشر الجريدة هو «حزب الرامجاڤار» الدستورى (١٩١٥) ، «حزب الرامجاڤار الأرمنى فى مصر» (١٩٢١) ، ثم «الصندوق الأهلى الأرمنى» منذ بداية سبعينيات القرن الماضى . وتجدر الإشارة إلى أن «١٢» شخصاً قد تعاقبوا على رئاسة التحرير بدءاً من أمير شعراء المهجر الأرمنى ڤاهان تيكييان (١٩١٥ - ١٩٢٠) حتى أسبيد أرتينيان الذى خلف المؤرخ الأستاذ هوڤهانيس دير بدروسيان (١٩٩٠ - ٢٠٠٣) . هذا ، وقد أصدرت أريف عدداً خاصاً فى ٢٢ سبتمبر ١٩٩٠ بمناسبة مرور «٧٥» سنة على تأسيسها .

وفى عام ١٩٤٨ ، صدرت بالقاهرة جريدة «چاهاكير» (حامل الشعلة) ، وهى جريدة قومية وسياسية وأدبية واجتماعية . ومنذ إصدارها ، تفاوتت فى طبيعتها الإصدارية بدءاً من (دورية) و(شهرية) ومروراً بـ (أسبوعية) وانتهاءً بـ (نصف شهرية) . أسس الجريدة كل من هايج چامجو تشيان وأرشام دادريان . كان هايج چامجوتشيان صاحب الامتياز منذ عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٣ ثم أيدا سيروڤيان منذ عام ١٩٦٣ وحتى الآن . مرت الجريدة بدورتين الأولى منذ عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٢ ، والثانية منذ عام ١٩٦٣ وحتى الآن . رأس التحرير فى الدورة الأولى على التوالى كل من : هايج چامجوتشيان ، أرشام دادريان ، هرانت دادريان . ورأس التحرير فى الدورة الثانية : سركيس بالايان (١٩٦٣ - ١٩٧٩) ، زاڤين بالايان (١٩٧٩ - ١٩٨٩) ، أڤيديس موڤسيسيان (١٩٨٩ - ٢٠١٢) ، مارديروس بالايان (٢٠١٢ - وحتى الآن) . وتجدر الإشارة إلى أن دورة «چاهاكير» الجديدة قد شهدت ظهور ملحقين لها : أولهما شهرى فى عام ١٩٦٦ بإسم «چاهاكير الرياضية الشبابية» ، وقد صدر منها «٧٩» عدداً حتى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٢ . وثانيهما «دزيدزيرناج» (طائر السنونو) ، وهى مجلة موسيقية كانت تصدر كل ثلاثة شهور فى الفترة بين عامىّ ٢٠٠١ - ٢٠٠٦ وحررها الباحث الموسيقى الأرمنى المصرى هايج آڤاكيان .

وفيما يتعلق بمجلة «ديغيجادو» (التقرير) فناشرها جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة . وقد تنوعت فى الإصدار الأول على النحو التالى : كل شهرين ، دورية ، كل ثلاثة أشهر ، كل ٤ أشهر ، نصف سنوية . أما فى الإصدار الثانى اعتباراً من أكتوبر ١٩٩٦ ، فتصدر كل ثلاثة أشهر . وقد رأس تحريرها منذ عام ١٩٩٦ كل من بيرچ ترزيان (١٩٩٦ - ١٩٩٨) ، ديكران كيڤوركيان (١٩٩٩ - ٢٠٠٢) ، آراكسى دوڤليتيان (٢٠٠٢ - ٢٠١٢) ، شاكيه ماركاريان (٢٠١٢ وحتى الآن) .

وعرج د. سورين بايراميان إلى الدوريات التى أصدرتها طائفة الأرمن الكاثوليك فى مصر ، وعددها عشرة إصدرات من قبيل : زهرة الواحة بالفرنسية (١٩٣٥ - ١٩٣٩) ، النشرة الرعوية (١٩٦٥ - ١٩٦٨) ، نشرة بطريركية الأرمن الكاثوليك فى مصر (١٩٧١ - ١٩٧٨) ، النشرة التقريرية لبطريركية الأرمن الكاثوليك (١٩٧٤ - ١٩٧٥) . . . إلخ .

علاوة على هذا ، رصد د. بايراميان أسماء الشخصيات الأرمنية التى اشتركت فى تحرير صحافة غير أرمنية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والتركية . فقد أشار إلى أريستاجيس ألطونيان الذى اشترك مع رفاعة الطهطاوى فى تحرير جريدة «الوقائع المصرية» خلال الفترة من ١٨٤٠ إلى ١٨٤٤ ، وأديب إسحق رئيس تحرير جريدتىّ (مصر) و (التجارة) وألكسان صرافيان رئيس تحرير جريدة الزمان ؛ أول جريدة يومية بالقاهرة منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٨٨٦ . وكذا ، ذكر اسم ديران كيليچيان محرر جريدة «لابورص إيچيبسيان» La Bourse Egyptienne

عام ١٨٩٩ ، وليڤون فهمى محرر مجلة لاچوستيس La Justice ، ألكسندر صاروخان صاحب امتياز ومحرر لاكاراڤان (القافلة) التى صدرت أسبوعية باللغة الفرنسية من القاهرة بين عامىّ ١٩٣٨ - ١٩٣٩ .

وأخيراً ، سّجل د. سورين بايراميان البيانات الخاصة بـ «الملحق الشهرى العربى لجريدة أريف الأرمنية» الذى أصدرته جمعية «الصندوق الأرمنى الأهلى» ابتداءً من يناير ١٩٩٨ ، وتوقف فى مايو ٢٠٠٩ بعد صدور «١٣٧» عدد ، ورأس تحرير الملحق د. محمد رفعت الإمام ، وكان السيد بيرچ ترزيان مستشار التحرير للمواد الأرمنية . واعتباراً من أبريل ٢٠١٠ ، أصدرت جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة مجلة «أريك : ديوان الثقافتين العربية والأرمنية» كنشرة غير دورية باللغة العربية . وتعنى كلمة «أريك» (الشمس) . وبصدور هذا العدد (مارس ٢٠١٣) تكون المجلة قد أكملت عامها الثالث . ويرأس تحريرها د. محمد رفعت الإمام ، والسيد بيرچ ترزيان مستشار التحرير للمواد الأرمنية .

أرمينية والبلاد العربية

● فى ٢٦ فبراير الماضى ، التقى سفير جمهورية أرمينية بلبنان أشود كوتشاريان مع كل من وزير الطاقة والموارد المائية اللبنانى جبران باسل ووزير الاقتصاد والتجارة نيقولا نحاس . وقد تم بحث زيادة فعالية التعاون بين الطرفين فى المجالات المعنية . وقدم كوتشاريان إلى وزير الاقتصاد والتجارة تفاصيل عن مجالات الطاقة فى أرمينية . وبحث الطرفان إمكانية إشتراك الطرفين مباشرة فى أعمال المشروعات المزمع عملها فى ميدان الطاقة . كما قام المتباحثان بدراسة المسائل المتصلة بإقامة المؤتمر الدولى «Logec ٢٠١٣» المزمع إقامته فى بيروت (٩ و ١٠ أبريل) والمخصص لمسائل النفط والغاز والطاقة . وخلال اللقاء مع الوزير نيقولا نحاس ، أكد الطرفان أهمية استعادة أعمال اللجنة الحكومية المشتركة من خلال تنظيم الموائد المستديرة والمؤتمرات باشتراك دوائر واسعة من رجال الأعمال . ونوّه الجانبان بأهمية تنشيط التعاون فى المجالين التجارى والاقتصادى ؛ إذ بموجبه يُمكن رفع حجم التبادل السلعى . وأخيراً ، اتفق المتباحثان على ضرورة بحث إمكانية إنشاء غرفة مشتركة للتجارة والصناعة ، وكذلك بحث مشروع جدول أعمال اللجنة الحكومية المشتركة بين أرمينية ولبنان .

● فى ٣ مارس الجارى ، التقى سفير أرمينية فى دولة الإمارات المتحدة كيغام غريبچانيان مع محمد أحمد المر رئيس المجلس الوطنى الاتحادى (البرلمان) لدولة الإمارات فى مقره بدبى . وفى بداية اللقاء ، طلب رئيس البرلمان الإماراتى من السفير الأرمنى إبلاغ تهانيه إلى الرئيس الأرمنى سيرچ سركيسيان بمناسبة إعادة انتخابه . وخلال المباحثات ، ناقش الطرفان إمكانية تنشيط وتوسيع العلاقات الأرمنية الإماراتية لاسيما فى المجال البرلمانى . وقد أشاد رئيس البرلمان الإماراتى بالمستوى العالى للعلاقات الأرمنية الإماراتية ، وأبدى استعداد بلاده بشأن تنمية وتوطيد هذه العلاقات مشيداً بدور الجالية الأرمنية فى تنمية مختلف النواحى بالإمارات . واتفق الطرفان على توقيع وثيقة قانونية تُغطى مجالات التعاون بين برلمانىّ البلدين . وجدَّد الرئيس المر الدعوة إلى رئيس المجلس الوطنى (البرلمان) الأرمنى هوڤيك أبراهاميان بشأن دعوته إلى الإمارات مشيراً إلى أن هذه الزيارة سوف تعطى مضموناً جديداً لتنمية التعاون بين برلمانىّ البلدين . وخلال اللقاء ، ناقش الطرفان المسائل الإقليمية .

وليـم سارويـان فـى مصــر

إعداد : عبد الله الصاوى

يُعد وليم ساروبان (١٩٠٨ ـ ١٩٨٢) من أبرز الكُتاب الأمريكيين ، وهو من أصول أرمنية . وتُوصف إبداعاته بأنها «روح أرمنية فى الأدب الأمريكى» . ويُعد ساروبان أبرز الكُتاب الأمريكيين المعروفين لدى قراء اللغة العربية ؛ إذ تمت ترجمة معظم أعماله إلى لغة الضاد . ومن هذا القبيل ، نشرت مجلة «التحرير» المصرية فى العدد رقم ٢٧ ، الصادر يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٥٢ ، قصة قصيرة لساروبان بعنوان «سام الضحوك» ترجمة كمال الحناوى . ويُسعد مجلة «أريك» أن تُعيد نشرها .

سام الضحوك

كان فى بلدتنا منذ خمسة عشر عاماً غلام يُسميه الناس «سام الضحوك» لأنه كان يضحك دائماً . كان واحداً من أولئك الصبية الشديدى الحساسية ، الذين يخافون كل شىء فى العالم ، ولذلك فهم يضحكون من كل شىء ، ويتورطون فى مشاكل كثيرة . وقد مات من أبناء بلدتنا فتيان كثيرون قبل أن يبلغوا العشرين ! وكان سام واحداً من هؤلاء ، ولكنه ـ كشأنه فى كل شىء ـ مات خطأ ، وأغلب ظنى أنه كان يضحك فى تلك اللحظة أيضاً . وأنه ظل يضحك ـ على الأقل ـ حتى تحقق من أن الرافعة لابد ستقتله . وقد سحقته الرافعة سحقاً !!

إنه كان يكره الروافع وما تحمله من أثقال . . ويتشاءم من الموت بهذه الطريقة البشعة !! ولكنه لقى حتفه بما يكره وسحقت الرافعة جسده !!

كان عمر سام عندما مات ستة عشر عاماً ، وقد عرفته قبل ذلك بأعوام أربعة . رأيته لأول مرة يهبط درجات سلم مطبعة الايفننج هيرالد بصحبة بازمارتن . بازمارتن العجوز متعهد الصحف فى بلدتنا ، ذلك الذى قُتل فى حادث سيارة وقع له فى عام ١٩٢٤ . وقد سمعتُ مارتن يطلب من سام الانتظار إلى أن تخرج من المطبعة الطبعة المحلية من الجريدة ، وعندئذ أخذ سام فى الانتظار كأنما الانتظار يتطلب نشاطاً جماً !! وأخذ يجيل بصره فى خوف بين الصبية من باعة الجرائد من إيطاليين وروس وأرمن .

وكنتُ فى ذلك الوقت فى التاسعة أو العاشرة من عمرى ، وكان سام يكبرنى بعام أو بعامين ، ولكننى أستطيع أن أقص ما كان يحدث حينذاك . لم يكن سام إلا صبياً آخر فقيراً بائساً عانى من فقره وبؤسه الشىء الكثير . . !!

باحث ماجستير
آداب دمنهور

وساورنى القلق عليه، ووددتُ لو أمكننى التفكير فى شىء أقوله له . ولكننى لم أستطع !! لقد أردتُ أن أقول له انتظر الآن . . لا تهتم . . لا تخف . . فليس فى آلة الطباعة ما يُخيف . . لا تُبال بها . . ولكننى لم أستطع أن أقول له أى شىء .

ولمحتُ فى عينيه شيئاً يُشبه الفزع والحزن، وخُيل لى أنه يهم بالصراخ، ولكنه بدلاً من أن يصرخ أخذ فى الضحك !!

كان سام ضئيل الجسم متوتراً . كنتَ تحس إذا رأيته لأول مرة حيال الإنسان الحقيقى . حيال الجسد البائس المنهوك للرقيق فى العصور الخوالى : سوء التغذية . وإرهاق العمل . والمرض والجراح . والألم ! الإنسان الذى اضطهده العالم فى شخص المسيح .

لم أتحدث إليه فى ذلك اليوم الأول للقائنا ، فقد كنتُ خائفاً منه بعض الشىء !! لم أكن خائفاً من الصبى فى حد ذاته، ولكن مما يبدو عليه من أنه ضحية من ضحايا المجتمع، الذى انحدر إليه تراث القرون من القسوة المميتة والخطايا، وهو لا يملك لذلك كله دفعاً !

وأخذتُ أرقبه من بعيد . كان من الواضح أنه ضائع . ضيعته هذه ليست فى ذلك الموقف فحسب، بل كان من الضائعين فى الزمان والمكان . فى التاريخ والحياة !! كان يبدو أن خواطر مُلحة تسرى فى دمائه قائلة له . . امض بعيداً . . . اهرب . . . إذهب إلى مكان آخر . . اجر . . . اختف . . لا تبق بينهم . . . إنهم سيقتلونكَ!!

ولقد سمعته يُحاول التحدث إلى بازمارتن، ولكنه لم يستطع النطق !! أقصد أنه لم يصدر عنه أى صوت. لقد استدارت شفتاه لتنطقا بالكلمة، ولكن فمه تشنج وجمد لسانه . فتراه يُحاول النطق وتظنه تلفظ بالكلام، ولكنكَ لا تسمع شيئاً !!

وسأل بازمارتن : وأين سأنتظر ؟ وكان مارتن رجلاً عظيماً رغم جفائه وغلظته، وقد تعوّد أن يضرب الغلمان إذا خرجوا من الصف، ولكنه كان عظيماً رغم ذلك، كان لا يُبالى ماذا يكون الشخص وما هو أصله طالما أن عمله على ما يُرام، ولذلك لم يقس على الصبى عندما سأله، رغم أنه اغتاظ من سؤاله ذاك وقال له :

ـ انتظر حيث أنتَ الآن ولا تمش من هنا، فالطبعة المحلية ستخرج بعد خمس دقائق، وسأعطيكَ عشر نسخ وأقول لكَ ما تنادى به .

وقهقه سام وظل واقفاً فى مكانه لم يبرحه .

وأخذ يتلفت حوله يتلمس شخصاً يتحدث إليه، ووقع اختياره على نيكولا كوروس وكان صبياً يونانياً وسأله :

كيف تبيع الصحف؟ وضحك وقد أجاب كوروس فى اقتضاب :

ـ لا أدرى .

وقال سام :

ـ إننى لم أبع الصحف من قبل . هل ينبغى أن أنادى؟

وقال كوروس :

ـ لا .

وضحك سام مرة أخرى ، فنظر إليه كوروس مفزوعاً وقال :

نعم .

وكيف تُنادى ؟

أفتح فمى وأصيح .

وماذا تقول؟ هل تنُادى الجريدة . . الجريدة . . الجريدة !!

نعم . . الجريدة . . الجريدة . . الايفننج هيرالد . . وأقول الأخبار . .

إننى لم أبع صحفاً أبداً . وأمى قالت أننا فى حاجة لنقود . . . ها ها . . ها ها . . ولذلك جئتُ إلى هنا . هل تكسبون كثيراً ؟؟

لا .

هل تكسبون أى نقود؟

إذا بعتَ جريدتين تكسب نيكلة . تكسب نيكلة كل صحيفتين . ؟!

وكم جريدة تظننى أبيع؟

ربما تبيع عشرة .

يعنى أكسب خمسة وعشرين سنتاً ؟

نعم .

وعندئذ بدأت آلة الطباعة تعمل فصاح سام :

انظر . . ها ها . . ها ها . . . فتساءل كوروس فى دهشة :

ماذا حدث؟؟ فقال سام :

ها ها . . ها ها . . انظر إليها؟؟

وكان الخبر الرئيسى عن الحرب ، وقد أعطى بازمارتن لسام عشر صحف ، وأمره أن ينُادى قائلاً : «تقدم الحلفاء ! تقدم الحلفاء !» .

وتسلم كل منا نصيبه من الصحف ثم أسرعنا إلى البلدة ، وكان موقعى على ناصية البوستة . فكلما كنتُ نشيطاً سريعاً كان المكان المخصص لك أحسن ، وكان المكان الذى أقف فيه واحداً من الأماكن الستة الممتازة!!

أما إذا كنتَ بائعاً جديداً ، فإنهم يطلبون منكَ أن تدور حول البلدة وأن تبذل غاية جهدك!!

ولم يدر سام حول البلدة ماشياً كبقية الصبية ، بل أخذ يجرى . واستمر يجرى بضع ساعات .

لقد حاول أن يرضى بازمارتن وأصحاب الصحيفة . وأن يحمل إلى أمه بعض النقود . فقد كانت حاجتهم إلى النقود ملحة حقاً . ولذلك بذل كل جهده ليبيع نصيبه من الصحف ، ويعود إلى أمه ببعض الدريهمات . كان يُريد ذلك كله ، ولذلك أخذ ينُادى ويضحك و يجرى حول البلدة كأنما هو يُصارع الزمان !!

وكان سام مسلياً حقاً لا يستطيع إنسان أنْ يُقاوم الإغراء فلا يمزح معه . وكان للصبية الإيطاليين أكبر نصيب من معابثته والاستماع إلى إجابته وضحكاته . وكانوا يشتدون فى العبث فيجذبون سراويله لأسفل أو يُلطخونه بحبر المطبعة فيضحك أيضاً !! فلا يدرى الصبية ماذا يفعلون به بعد ذلك ليُثيروه!!

كان يقف وسط جمع من الصبية العابثين ، ويُحاول أن يمسح عنه الحبر وهو يقول لهم :

ـ أنتم تُلطخون ثيابى بالحبر . . ها ها . . ها ها . . إن الحبر لا يزول!!

وكنتُ أفزع عندما أرى ذلك ، فقد كنتُ أعلم مدى ما يناله من أذى . ولم يمض أسبوع حتى كان كل فرد قد أخذ من معابثته بنصيب ثم أخذت جدة ضحكاته تزول . بل أصبحت مصدر ضيق لمن يراه . فليس مناسباً أن تضحك من كل شىء!

وذات يوم بينما هو يهبط الدرج ، عثرت رجله فتدحرج وأصيب وجرى الجميع إليه يُريدون مساعدته . حتى أشرس الصبيان وأقساهم قلباً كان يُريد معاونته !! ورغم أن سترته تمزقت ، وأن ذراعه كانت تنزف ، فقد

هب واقفاً وبدأ يضحك قائلاً :

ـ لقد وقعت على السلم . . ها ها . . ها ها . .

وقد أثار ضحكه استغراب أغبى الصبيان ، ماذا بحق الجحيم يدعوه للضحك؟؟!

وحاول سام بعد ذلك أن يندمج فى الصبية ، وأن يُصادقهم ، ولكنه كان لا يستطيع الكلام ، وكان يضحك دائماً!

وذات يوم كان الموضوع الرئيسى عن حادث تصادم على الطريق الزراعى وقع خلال الليل ، وقُتل فيه خمسة أشخاص وجُرح ثلاثة ، فمضى يدور حول البلدة منادياً عن الحادث ويضحك!! ومر بالناصية التى أقف فيها وهو يُنادى صائحاً :

ـ خمسة قتلى فى حادث تصادم . . ها ها . . ها ها؟؟

فأوقفته . وكنتُ لا أشعر نحوه بحب أو كراهية . فقد حاولتُ كثيراً أن أحبه فلم أستطع . ولكننى كذلك لم أكرهه!!

إنه لم يكن مجرد ولد آخر من باعة الصحف . إنه كان رجلاً على الأرض . رجلاً فى أسوأ حالاته . فهو يتناول كل شىء بالضحك .

وقلتُ له :

ـ انتظر لحظة . إن هذا الحادث ليس بالشىء المضحك!!

وتوقف سام فجأة وقال :

ـ إننى لم أكن أضحك!؟!

وبدأتُ أفهم !! يا للجحيم . إنه لم يكن يضحك على الإطلاق . إنه صوته يُشبه الضحك ولكنه يصرخ . كان قلبه يتحطم لأجل كل شىء!! أى شىء . ولذلك كان يبكى ويصرخ . معبراً عن ذلك بما يُشبه الضحك!!

وقلتُ له :

ـ إنكَ لست مسروراً لأن أولئك الناس قد قتلوا . أليس كذلك؟؟

وحاول جهده ألا يبتسم وقال «لا» .

وسألته «إنكَ حزين لأجلهم . أليس كذلك ؟»

فقال : «حقاً . إننى حزين لأجلهم حقاً» .

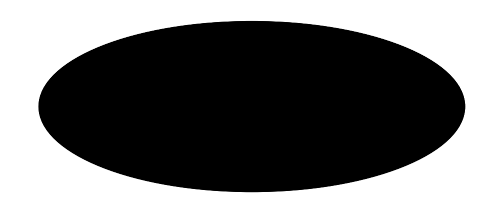
فقلتُ فى تأثر «هذا كل ما أردتُ معرفته!!» .

وسار على الطريق لا يلوى على شىء . وشرقت أنا بالدموع!!

لقد ظل سام يبيع الصحف حتى بلغ الخامسة عشرة ثم التحق بشركة لنقل البضائع وتخزينها لقاء ثمانية أو عشرة دولارات فى الأسبوع ، ولستُ أدرى بالضبط نوع العمل الذى أُسند إليه ، ولكننى أظن أنه كان مكلفاً بتشغيل الونش لرفع البضائع . وأعتقد أن العمال الآخرين عهدوا إليه بذلك العمل لأنه كان يخشى الآلات!! وأعتقد كذلك أنه قبل ذلك العمل ليستمر فى وظيفته!! كما أعتقد أنه تناول هذا الأمر بأسلوبه وهو الضحك . ذلك الضحك الحزين!!

ولستُ أدرى كيف حدث أن قُتل ؟ ولكننى قرأت ذات يوم فى الايفننج هيرالد أن الونش قد سحقه ، وأنه قُتل لساعته!! وقد قال الجميع أنها كانت غلطته . فقد شل الرعب حركته لأن الرافعة لم تقف حيث يُفترض وقوفها . فضحك منه العمال الآخرون . وزاد ذلك من ارتباكه فحاول أن يتخلص من الونش ، ولكنه لم يستطع!!

لقد عاش فى هذا العالم ستة عشر عاماً . واستمر يضحك طول الوقت!! منذ بدأت حياته من عشرات القرون . إلى آخر حياته منذ خمسة عشر عاماً!!



آفـــاق

قضية تهويد التراث التاريخى فى الضفة الغربية ١٩٦٧ ـ ١٩٩٣

بقلم : حسن سعيد الجمل

تكمن أهمية التراث التاريخى ، لأى شعب كان ، بأنها تُمثل امتداداً إنسانياً وحضارياً وثقافياً له فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وهى دليل قاطع على شرعية هذا الشعب على أرضه منذ فجر التاريخ ، وأنه صاحب حضارة إنسانية يشهد على وجوده هذا الإرث الحضارى والمكنون الأثرى والثقافى ، والذى يُشكل هويته الوطنية .

تتميز فلسطين بتراثها الحضارى والثقافى ، والذى يُعد أحد أهم المكونات التاريخية والجغرافية فيها ، ليس على المستوى الوطنى فحسب ، بل تعداه إلى المستوى الإقليمى والدولى ، وأصبحت بميزاتها هذه تحتل مكانة فى قلوب وأفئدة الملايين من البشر على مر العصور .

ففى فلسطين ، اجتمعت ميزات عامة وخاصة ، حيث تعاقبت حضارات كثيرة فى فلسطين ، ويعود الوجود الإنسانى فيها لأكثر من مليون سنة . وقد توافرت أدلة عددية تشهد على ذلك فى مختلف أرجاء فلسطين ، بعض منها يعود إلى حقب ما قبل التاريخ ويُشير إلى تطور الحياة الزراعية والحضارية فيها .

إن الأهمية التاريخية التى اكتسبتها أرض فلسطين نشأت فى الأساس من أهمية موقعها الجغرافى الإستراتيچى ، حيث تقع فى قلب العالم القديم ما بين قارات آسيا وإفريقيا وأوربا وتُوحِّد فى هذا الموقع ما بين شطرى العالم العربى فى قارتّ آسيا وإفريقيا ، عدا عن كونها مهد الديانات السماوية .

وتمتاز أرض فلسطين ، رغم صغر مساحتها نسبياً ، بتنوع تضاريسها فمن الجبال الخضراء إلى السهول الممتدة ومن الصحراء إلى شواطئ البحر الدافئة فمنطقة الغور الفريدة فى العالم . هذا التنوع فى تضاريسها ، جعل كل قسم من أقسامها الطبيعية يتميز بنوع خاص من المناخ ، بينما نجد فصل الصيف معتدلاً فى الجبال ، وعلى شواطئ البحر ، نجد فصل الشتاء دافئاً جميلاً ، أما فى منطقة الغور فمناخها يمتاز بصيف طويل وشتاء قصير ، وهذا ينعكس إيجابياً على تنوع المنتوج النباتى فى كافة فصول السنة مما يُشجع حركة السياح والاستجمام خاصة لشعوب المناطق الباردة طوال العام .

تضم أرض فلسطين عدداً كبيراً من المواقع والمعالم الأثرية والتاريخية التى يعود تاريخها إلى عصور وثقافات وحضارات مختلفة . ويُلاحظ أن هذا الإرث

باحث مختص بالشئون الفلسطينية

الحضارى متنوع ، وقد استلهم سكان فلسطين من الثقافات السابقة جزءاً كبيراً من تكوينهم الثقافى والاجتماعى .

يُواجه التراث التاريخى الفلسطينى فى الضفة الغربية كباقى الأراضى الفلسطينية المحتلة أخطاراً حقيقية بسبب ما تتعرض له من إجراءات وممارسات إسرائيلية ممنهجة على أرض الواقع ، منذ أن قامت إسرائيل باحتلال الضفة الغربية وفرض سياستها الاحتلالية وقوانينها العسكرية على الشعب الفلسطينى وأرضه العربية ، وبهذا الاحتلال للضفة الغربية تكون إسرائيل قد أكملت سيطرتها العسكرية على ما تبقى من أرض فلسطين والتى بدأته عام ١٩٤٨ تنفيذاً لوعد بلفور عام ١٩١٧ الذى أعطى أرض فلسطين لليهود على حساب الشعب العربى الفلسطينى صاحب الحق التاريخى فى هذه الأرض .

لقد شهدت تلك الفترة الزمنية الواقعة ما بين ١٩٦٧ إلى عام ١٩٩٣ صراعاً عنيفاً ومحتدماً اتخذ عدة أشكال ووسائل بين التراث التاريخى والثقافة الوطنية الفلسطينية من جانب ، وسياسة الاحتلال المتمثلة فى التشويه والتدمير والتفريغ من جانب آخر . لقد وضع الإسرائيليون خططهم ضمن برامج زمنية واضحة من أجل تهويد الأرض والإنسان ، وكذلك تهويد الآثار وتزوير التاريخ وإلغاء وتشويه وسرقة الهوية الوطنية والتراث الفلسطينى فى حملة عنصرية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً أن تعرضَ وطن بأكمله إلى الإلغاء وطمس معالمه الحضارية والأثرية والإنسانية .

جاءت ممارسات الاحتلال على التراث التاريخى الفلسطينى انطلاقاً من أفكار استعمارية وإيماناً باعتقادات توراتية تنص على أنهم أصحاب حق تاريخى فى هذه الأرض ، وجاء اختلاق إسرائيل القديمة معادلاً موضوعياً لمحاولة إسكات التاريخ الفلسطينى وتجريد الشعب الفلسطينى ليس من أرضه فقط ، وإنما من تاريخه أيضاً . ومن أجل تأكيد روايتها المختلفة ، لجأت الحركة الصهيونية إلى تدمير الرموز الثقافية للشعب الفلسطينى ومحاولة إدعائها والاستيلاء عليها ، وهذا ما حدا بالحركة الصهيونية إلى تدمير القرى والمدن الفلسطينية على نطاق واسع سنة ١٩٤٨ فى إطار سعيها لإحلال تاريخى كلى . ولا غرابة فى أن يكون الرد الإسرائيلى على الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة هو تدمير جزء من البلدة القديمة فى نابلس واستهداف مواقع التراث الثقافى فى الخليل وغزة وبيت لحم . . . إلخ ، ويبدو أن هذا الوجود المادى الفلسطينى وتعبيراته الثقافية يُشكلان هاجساً مضنياً للحركة الصهيونية كنقيض لمشروع الإحلال التاريخى . وسيبقى هذا الهاجس قائماً طالما بقيت الحركة الصهيونية ساردة فى الكذبة التى قامت عليها ، ولم تجر مصارحة حقيقية مع نفسها وتُقر بالجرم التاريخى الذى اقترفته ضد الشعب الفلسطينى . وتأتى محاولة وأد التاريخ الفلسطينى ونفى الماضى الفلسطينى كمقدمة لنفى الوجود الحاضر والمستقبل للشعب الفلسطينى .

استخدمت إسرائيل منذ احتلال الأراضى الفلسطينية عام ١٩٦٧ طريقتين فى تدمير التراث التاريخى الفلسطينى .

أولاً : إتباع طرق علنية ـ غير قانونية ـ فى التنقيب عن الآثار . ومصادرة التراث التاريخى والحضارى . علماً بأن الاتفاقيات والتوصيات الدولية (تمنع المحتل) من إجراء أى عمل يمس بالممتلكات الثقافية فى الأراضى التى تحتلها وُتمثل ذلك فى دائرة الآثار التابعة للإدارة المدنية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقامت هذه الدائرة بتنفيذ العديد من الحفريات والمسوحات الأثرية غير المشروعة فى هذه المناطق ، وذلك إما عن طريق أثريين إسرائيليين وإما عن طريق التعاون مع بعثات أجنبية .

وقد كانت تلك الحفريات تحمل فى ظاهرها الطابع العلمى ، وفى باطنها يتجسد الفكر الإسرائيلى الصهيونى الذى يبحث عن أدلة تُؤكد النصوص التى وردت فى العهد القديم من خلال تفسير المعطيات الأثرية بما يتناسب مع أغراضهم وأهدافهم التوراتية ، وتم تسليط الأضواء على بعض الطبقات الأثرية دون أخرى بما يخدم مصالحهم ، خاصة تلك الطبقات التى تعود إلى العصر الحديدى وبعض حقب العصور الكلاسيكية ، فى كل من المواقع التالية على سبيل المثال : القدس ، النبى صموئيل ، وجبل جرزيم ، أريحا . . . إلخ .

ثانياً : اتباع الطرق السرية ، وهى الأكثر خطورة . لقد نصت الاتفاقيات الدولية على ضرورة الحفاظ على التراث الثقافى باعتباره إرثاً إنسانياً من الواجب الحفاظ عليه فى أى بلد كان ، علماً بأن هذه الاتفاقيات جاءت بعدما تعرض جزءاً كبيراً من الموروث العالمى للدمار نتيجة الحرب العالمية الثانية ، منها اتفاقية لاهاى عام ١٩٥٤ التى ركزت على ضرورة الحفاظ على الممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة ، ومنع المحتل من العبث بتراث الأراضى الواقعة تحت احتلاله . وكذلك اتفاقية اليونسكو فى عام ١٩٧٢ التى تُعد من أهم التوصيات الدولية ، وأشملها فى حفظ التراث الثقافى وحمايته . وبالرغم من ذلك فقد شجع الاحتلال «نبش» الآثار والتجارة بها ، ونتيجة لذلك تشكلت عصابات من التجار المحترفين من جميع المناطق الفلسطينية كوسطاء بين التجار الإسرائيليين ولصوص التراث التاريخى ، ومنح عدد منهم رخص خاصة لمزاولة هذه المهنة ، بل شجعت هذه المهنة من قبل مستويات سياسية وعسكرية رفيعة جداً فى إسرائيل ، مثل تيدى كوليك رئيس بلدية القدس المحتلة سابقاً وموشى ديان وزير الحرب الإسرائيلى ، حيث اشتهرا بسرقة الآثار الفلسطينية ، وقد استغل ديان وظيفته العسكرية وسخر إمكانيات الجيش الإسرائيلى فى التنقيبات غير الشرعية وغير العلمية لسرقة الآثار الفلسطينية ، وقد دعا ديان فى أكثر من مرة إلى إزالة كل الآثار المقدسية والتراث التاريخى الفلسطينى بدعوى إيجاد الهيكل .

وبناءً على نتائج المقابلات التى أجريتها خلال السنوات السبعة عشر الأخيرة مع حوالى مئتىّ سارق وتاجر للتراث التاريخى والثقافى الفلسطينى فقد تبين التالى :

إن تجار الآثار الإسرائيليين والفلسطينيين المرخصين وغير الشرعيين يقومون بترويج قصص عدة حول الدفائن والكنوز الثمينة بغية تشجيع سرقة التراث الفلسطينى .

بل أكثر من هذا ، يُشيرون إلى وجود خرائط ورموز ، وإشارات متعددة تدل على أماكن وجود هذه الدفائن . وفى العادة يلعب تجار التراث التاريخى دوراً مميزاً فى توجيه سارقى الآثار للحفر فى مواقع أثرية بعينها لاستخراج مواد أثرية يتطلبها السوق الإسرائيلى . وفى العادة يتم تهريب هذه المواد من القرى والمدن الفلسطينية بسبل متعددة إلى القدس المحتلة . وتشير هذه المقابلات أن عدد المواد الأثرية المسروقة من الضفة الغربية تزيد عن مئات الآلاف من القطع سنوياً عدا عن بقية المواد التراثية والتاريخية الأخرى .

وأهم ما تمت سرقته هى مخطوطات قمران «لفائف البحر الميت» التى اكتُشفت عام ١٩٤٦ ، حيث كانت هذه المخطوطات فى المتحف الفلسطينى روكفلر فى القدس . وبعد أن استولت إسرائيل على القدس عام ١٩٦٧ أخذت مخطوطات وادى القمران وغيرها ونقلتها إلى متحف الكتاب الإسرائيلى بالقدس الغربية .

كما ضمت فلسطين التاريخية ، بحسب المسوحات الأثرية التى قامت بها سلطات الانتداب البريطانية فى

ثلاثينيات القرن الماضى ما مجموعه ٣٥,٠٠٠ موقع أثرى كبير وصغير (مدن ، قرى ، تلال ، كهوف ، مقالع حجارة ، أبراج ، معابد ، كنائس) تعود بتاريخها إلى عصور مختلفة . وتضم الضفة الغربية وحدها أكثر من ثلث هذه المواقع وتحديداً ١٢,٢١٦ موقعاً ، وينتشر فى أرجاء محافظات الضفة وغزة ما يربو على ٦٠٠٠ معلم لم تكشف الحفريات عن معظمها بعد ، وتعكس تنوعاً غنياً فى الثقافات والحضارات التاريخية التى قامت على أرض فلسطين .

وقد دُمِّر قسم كبير من هذه المواقع فى الضفة الغربية وقطاع غزة بعد احتلال إسرائيل ، وعلى الرغم من أن العدد الدقيق للمواقع المدمَّرة فى هذه المواقع غير معروف ، فإن أكثر التقديرات تُشير إلى أنه بالآلاف وليس بالمئات ؛ لأن لصوص الآثار لا يتورعون عن حفر وتخريب أى شئ يقع فى طريقهم بما فى ذلك القبور الإسلامية .

قسمت الضفة الغربية حسب اتفاق إعلان المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل عام ١٩٩٣ إلى ثلاثة مناطق أ ، ب ، جـ .

وتُشير جداول وزارة التخطيط والتعاون الدولى الفلسطينى أن مساحة الضفة الغربية تبلغ ٥٦٥٠ كم٢ حيث شملت منطقة (أ) ١٧,٧١ ٪ من أراضى الضفة وهى المساحة التى تُسيطر عليه السلطة الوطنية الفلسطينية إدارياً وأمنياً ، أما منطقة (ب) ، والتى تشمل المحميات الطبيعية فى جنوب الضفة الغربية فتبلغ مساحتها ٢١,٢٩ ٪ وتخضع إدارياً للسلطة الوطنية وأمنياً لإسرائيل . وتبقى المنطقة الثالثة (ج) والتى تبلغ مساحتها ٦١,٠٠ ٪ ، فإنها تحت السيطرة الإسرائيلية إدارياً وأمنياً .

وتُشير إحصائيات دائرة الآثار الفلسطينية إلى أن عدد المواقع والمعالم التاريخية فى منطقة (أ) بلغ ٢٤٢٧ موقع ومعلم ، ونسبة التدمير تُشكل ٢٠ ٪ فى هذه المنطقة .

أما المواقع والمعالم التاريخية فى منطقة (ب) فعددها ٣٥١٨ موقع ومعلم ونسبة التدمير تُشكل ٢٩ ٪ . أما المواقع والمعالم التاريخية فى منطقة (ج) فعددها ٦٠٨٩ موقع ، وقد بلغت نسبة التدمير فى هذه المنطقة ما نسبته ٥١ ٪ . ويُعزى هذا التدمير الكبير إلى أن سلطات الاحتلال الإسرائيلى لا تبذل الجهود الكافية فى حماية الموروث التاريخى والثقافى ، بالإضافة إلى منعها موظفى شرطة السياحة والآثار ووزارة السياحة والآثار الفلسطينية من الوصول إلى هذه المناطق ومن الجدير ذكره أن إسرائيل أعادت احتلال جميع المدن والمناطق الفلسطينية فى عام ٢٠٠٢ بعد اندلاع انتفاضة الأقصى وإلى الآن تستبيح كافة المدن والقرى والمخيمات أرضاً وبشراً وحجراً .

أما جدار الفصل العنصرى التى أقامته إسرائيل فى الضفة الغربية ، فقد التهم ما نسبته ١١ ٪ من مساحة الضفة الغربية وضم ٥٦٢ كم٢ منها . وهذه المساحة تحوى ٢٥٥ موقع تاريخى رئيسى و١٥٥١ معلم أثرى . كما أن هناك ١٢٥٠ موقعاً ومعلماً تاريخياً يتهددها الجدار المقترح فى وادى نهر الأردن فى الشرق . وهكذا فإن الجدار فى حالة اكتماله سيعزل أو يدمر نحو ٢٨٠٠ موقع ومعلم تاريخى معروف فى الضفة الغربية ، وهذا الرقم لا يُستهان به ؛ إذ أنه يُمثل ما نسبته ٢٣,٣ ٪ من مجموع المواقع والمعالم التاريخية المعروفة فى المناطق الفلسطينية ، وأكثر من ١٢ ٪ من مجموع المواقع الأثرية المعروفة فى فلسطين التاريخية ، وتقدر دائرة الآثار الفلسطينية أيضاً أن الجدار دمر كلياً أو جزئياً نحو ٨٠٠ موقع تاريخى ، وهذا الوضع سيكون له تأثير كارثى على تراث فلسطين الحضارى وعلى قطاع السياحة فيها ؛ لأن السياح يفدون إلى هذه البلد للتمتع بتراثه الثقافى الثرى أساساً .

معجم المرأة الأولى فى مصر

الجزء الثامن والأخير

إعداد : شيماء الشواربى

منذ العصر المصرى القديم ، حظيت المرأة المصرية بمكانة محورية فى الحياة الأسرية والمجتمعية . وبمرور الزمن ، ترسّخت هذه المكانة بموجب الشرائع السماوية . وفى العصور الحديثة ، أسهمت المرأة بامتياز فى المنظومة المصرية على كافة المستويات . ونظراً لهذا الإسهام ، تنفرد «أريك» بنشر سيرة ذاتية مقتضبة لأول مرأة فى جميع التخصصات والمجالات والميادين المختلفة ، وسوف نقوم بترتيب أسمائهن أبجدياً . وتجدر الإشارة إلى أننا استقينا معلومات هذا المعجم من مواقع إلكترونية وكتب متخصصة فى تاريخ المرأة وموسوعات على رأسها : ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية للأستاذ أحمد رجائى ، وأعلام مصر فى القرن العشرين من إعداد وكالة أنباء الشرق الأوسط وغيرهما .

نجوى محيى الدين زايد

مواليد القاهرة ١٤ يولية ١٩٤٣ . ليسانس حقوق جامعة القاهرة ١٩٦٨ . أول سيدة تعمل مدير عام الشئون القانونية بالشركة العربية لاستصلاح الأراضى . لها أنشطة اجتماعية تطوعية فى مجالات متعددة منها : جمعية أصدقاء الشعب وجمعية الأدب . حاصلة على شهادات تقدير فى مجال تخصصها ، وفى مجالات التوعية القانونية للمرأة والتنمية . عضوة نقابة المحامين . تُوفيت في عام ٢٠٠٠ .

د. نعيمة الأيوبى

أول مصرية تلتحق بكلية الحقوق . كانت قد التحقت بكلية الآداب ونجحت فى التحويل للحقوق وتخرجت فيها عام ١٩٣٣ ، نفس العام الذى تخرجت فيه أول دفعة طالبات من الجامعة المصرية . هى من الحقوق ، وسهير القلماوى ودرية منجى وفاطمة سالم من كلية الآداب . أول محامية تترافع أمام المحاكم . ترافعت عن أحمد حسين وفتحى رضوان فى إحدى القضايا السياسية وُحكم بالبراءة . اهتمت الصحافة بنشر صورها وهى تترافع مرتدية روب المحاماة . تدربت فى مكتب محمد علوبة باشا . واستمرت عاماً ونصف العام ثم سافرت إلى بلچيكا فى بعثة لدراسة الخدمة الاجتماعية فحصلت على الدبلوم . وفى نفس الوقت حصلت على الدكتوراة فى القانون . عادت لمصر واتجهت للعمل الاجتماعى ، وطالبت بتغيير الطلاق وجعله أمام القاضى وإلغاء بيت الطاعة . نجحت فى المساهمة بفتح مكاتب للمساعدات الاجتماعية فى الأحياء الشعبية . تُوفيت أول يناير ١٩٨٩ . تحتل

صورتها بروب المحاماة مدخل قاعة المكتبة والوثائق بجمعية هدى شعراوى ، وتتصدر قصة حياتها مجلدات المكتبة .

د. نفيسة الغمراوى

مواليد ٢٦ يناير ١٩١٢ . دبلوم كلية تشلسى للتربية الرياضية بلندن . مُدّرسة تربية رياضية بكلية البنات . ثم معهد تربية معلمات شبرا ١٩٣٩ . معيدة بمعهد التربية الرياضية لمدة ٢٢ عاماً وكانت أول سيدة تتقلد هذا المنصب (١٩٤٩ ـ ١٩٧٢) . عضوة بالمجلس الأعلى للشباب . من مؤلفاتها التعيين الحركى عند قدماء المصريين . نالت وسام الاستحقاق من الطبقة الثانية ووسام الجمهورية من الطبقة الخامسة ، وكذا وسام الرياضة من الطبقة الأولى . نالت درجة الدكتوراة الفخرية من جامعة الزقازيق فى عام ١٩٨٩ .

د. نوال التطاوى

أول سيدة تشغل منصب وزيرة الاقتصاد والتعاون الدولى ١٩٩٥ . أول سيدة تشغل منصب رئيس بنك . بكالوريوس اقتصاد من الجامعة الأمريكية ١٩٦٥ . عملت بعد تخرجها بقسم البحوث بالبنك الأهلى مع التدريس فى الجامعة الأمريكية . ماجستير ودكتوراة فى الاقتصاد من أمريكا ١٩٦٩ ، وعملت بعدها بالبنك الدولى للإنشاء والتعمير بواشنطن . شاركت فى مراجعة خطط التنمية الاقتصادية لبعض الدول الأفريقية خلال عملها بالأمم المتحدة ١٩٧٢ ، وشاركت فى دراسة المشروعات التى تتقدم بها الدول للحصول على تمويل من البنك الدولى . رئيس لبنك الاستثمار العربى بالقاهرة ١٩٩٢ . ثم عضوة معينة بمجلس الشعب ١٩٩٥ وزيرة للاقتصاد والتعاون الدولى ١٩٩٥ وحتى ١٩٩٧ .

نوال عامر

مواليد القاهرة فى ٢٦ أبريل ١٩٣١ . بكالوريوس فرنسى من مدرسة الليسيه فرانسيه ١٩٤٨ . فى معارك انتخابية : الأولى عام ١٩٦٤ لتصبح عضوة بمجلس الشعب عن دائرة السيدة زينب عمال . مديرة فرع ٢٦ يولية بشركة بيع المصنوعات المصرية . رئيسة جمعية صديقات الأسرة ١٩٥٩ . عضوة المؤتمر الوطنى السنوى الشعبى مارس ١٩٦٤ . انتُخبت عضوة فى مجلس الأمة (عاملة) عن السيدة زينب فى يناير ١٩٦٩ . اختيرت عضوة فى لجنة الدستور بمجلس الشعب عام ١٩٧١ . واختيرت عن الحزب الوطنى فى برلمان وادى النيل ١٩٨٤ . انتخبت وكيلة لجنة الشئون الاجتماعية من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧ . أول وكيلة برلمانية من العنصر النسائى ١٩٧٨ . أسهمت فى أول جمعية خيرية بالسيدة زينب لرعاية أبناء العاملات والأطفال . شاركت فى المؤتمر النسائى فى كوناكرى عاصمة غينيا سنة ١٩٦٠ . توفيت ٢١ سبتمبر ١٩٩٠ .

هاجر عبد الحميد

بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية جامعة القاهرة ١٩٦٩ . عملت فى وزارة الخارجية ، وبدأت عضوة فى البعثة الدبلوماسية فى مدريد ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ . حصلت على ميدالية من ملك أسبانيا خوان كارلوس . ثم عادت للعمل فى الوزارة بالقاهرة . انتقلت للعمل فى السفارة المصرية فى بون وحصلت على ميدالية من الدرجة الأولى من المستشار الألمانى . عضوة فى اللجنة العامة للتحضير لمؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط . وكان لها دور مهم فى المفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية التى انتهت برفع العلم فى طابا ثم عادت للعمل بديوان الوزارة . أول سيدة تتقلد منصب القنصل العام المصرى فى سان فرانسيسكو .

هدى المراسى

مواليد الإسكندرية فى أول يونية ١٩٣٩ . ليسانس آداب قسم فرنسى جامعة الإسكندرية ١٩٦٠ . أول فتاة تلتحق بوزارة الخارجية ١٩٦١ (قبل مرفت التلاوى وبهيجة عرفة) . والأولى على جميع المتقدمين . بدأت ملحقاً ووصلت لمنصب السفيرة . بدأت فى إدارة البروتوكول وعملت فى السفارة المصرية بباريس ١٩٦٣ . جلست بجوار الرئيس ديجول فى احتفالات العام الجديد باعتبارها أصغر الدبلوماسيات . عادت لباريس مبعوثة لدراسة علوم الإدارة . تفرغت ٩ سنوات لمرافقة زوجها الدبلوماسى بالسفارة المصرية ببلچيكا . مستشارة فى سفارة مصر بالسنغال ١٩٩٧٨ ـ ١٩٨١ . وزيرة مفوضة بروما ١٩٨٤ . وعُينت سفيرة بإيطاليا ١٩٨٨ . وصفتها الصحافة الفرنسية : «سمراء ممشوقة القوام . مهذبة لا تغيب ابتسامتها . صورة مشرفة للمرأة المصرية» . تُوفيت بباريس إثر جراحة دقيقة في ٢٠ يولية ١٩٩٢ .

د. هدى بدران

استكملت دراستها بعد وفاة الزوج فحصلت على بكالوريوس خدمة اجتماعية ١٩٥٤ . ماچستير فى إدارة الخدمة الاجتماعية جامعة لويس فيل بأمريكا ١٩٥٩ . الدكتوراة عن مواقف الصراع فى اتخاذ القرار جامعة كليفلاند بأمريكا ١٩٦٧ . دبلوم التنمية من الدنمارك ١٩٦٩ . عملت موجهة صحية واجتماعية فى مشروع قليوب لتنمية الريف . ورئيسة قسم التعليم المنزلى للمكفوفين بالمركز النموذجى بوزارة الشئون الاجتماعية والأمم المتحدة . معيدة بكلية الخدمة الاجتماعية . ثم مستشارة للتنمية الحضارية . ممثلة مقيمة لمنظمة اليونسيف فى سيريلانكا وجزر الملاديف . استقالت وعادت للعمل أستاذة غير متفرغة بكلية الخدمة الاجتماعية . أول أمين عام للمجلس القومى للطفولة والأمومة . رئيسة مجلس إدارة رابطة المرأة العربية . أول تكريم من محافظ القليوبية لترتيبها الأول فى الابتدائية . كرمتها اليونسيف بعد استقالتها . مُنحت لقب أفضل سيدة دولية فى سيريلانكا ١٩٨٣ ، أعيد انتخابها للمرة الثانية رئيسة للجنة الدولية لحقوق الطفل بچنيف ١٩٩٣ . من مؤلفاتها : تنظيم المجتمع . اختيرت عضوة بالمجلس القومى للمرأة ٢٠٠٠ ، واختيرت منسقة للجمعيات المصرية المشاركة فى مؤتمر المرأة العالمى بنيويورك (٢٠٠٠) .

د. هدى عفيفى

مواليد ٢٨ مارس . أول مهندسة طيران . بكالوريوس هندسة جامعة القاهرة ١٩٥٣ . ماچستير عن بناء الطائرات جامعة براديو بأمريكا ١٩٥٤ . دكتوراة من جامعة الأزهر عن مواد صناعة الطائرات . عضوة نقابة المهندسين . بدأت العمل فى المصانع الحربية ثم بالجهاز المركزى للتدريب وتدرجت فى العمل به حتى وصلت لدرجة وكيلة وزارة حين احيلت للتقاعد . قامت بالتدريس فى الجامعات السعودية وجامعة الأزهر وعملت فى سورية خبيرة فى المصانع الحربية . عضوة رابطة المرأة العربية واتحاد خريجات الجامعة . وعضوة مجلس إدارة مكتب توجيه الأسرة وجمعية تنمية المجتمع بمصر القديمة وجمعية هدى شعراوى . عضوة حزب الأحرار . وأصبحت أمينة للمرأة ووكيلة للحزب .

د. هناء المحمدى إبراهيم

بكالوريوس العلوم ١٩٧٤ . وعُينت بمعهد تيودور بلهارس التابع للمركز القومى للبحوث . والماچستير

عن الأنزيمات فى مرض البلهارسيا من جامعة الأزهر ١٩٧٧ . أول باحثة من المعهد تحصل على منحة للدراسة باليابان فحصلت على الدكتوراة من كلية الطب قسم الكيمياء الحيوية من جامعة أوساكا ١٩٩٠عن تأثير المواد السرطانية . شاركت ببحث عن التأكسد والدهون فى المؤتمر الدولى للعلوم الطبية . وببحث فى المؤتمر الدولى السادس عشر عن الأمراض المستوطنة الذى عُقد بمدينة نجازاكى ١٩٦٦ عن تأثير حبة البركة ضد الإصابة بالبلهارسيا . بعد عودتها لمصر عادت لمباشرة عملها بالمعهد لتصل لمنصب رئيس معمل الكيمياء الحيوية . ثم ملحق ثقافى بالسفارة المصرية باليابان . رئيسة معهد تيودور بلهارس فى عام ٢٠٠٠ .

هناء شاكر

مواليد ١٩٣٧ . خريجة أول دفعة بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٨ . بدأت العمل مترجمة بهيئة المعارض الدولية ١٩٦١ . مديرة بإدارة الإعلام . أول سيدة تصبح وكيلة الوزارة لسوق القاهرة الدولى ١٩٩٧ .

هند طنطاوى

أول سيدة تصل لمنصب رئيسة هيئة النيابة الإدارية وعضوة مجلس القضاء الأعلى . مواليد القاهرة ٣١ مارس ١٩٣٦ . ليسانس حقوق القاهرة ١٩٥٧ . دبلوم قانون عام ١٩٧٢ . دبلوم العلوم الإدارية ١٩٧٣ . محامية تحت التمرين ١٩٥٨ ، ثم عُينت بالشهر العقارى ، وكانت أول سيدة يصدر لها قرار تعيين فى وظيفة رئيسة مأمورية مساعدة . وبعدها عُينت بالجهاز المركزى للمحاسبات . بدأت العمل مساعدة نيابة إدارية فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٨ . وتدرجت حتى وصلت إلى منصب رئيسة هيئة النيابة الإدارية ١٩٩٨ حتى احيلت إلى التقاعد يولية ٢٠٠٠ . أول سيدة تشغل منصب وكيلة إدارة التفتيش الفنى ١٩٨٥ ، أول سيدة ترأس إدارة للنيابة الإدارية (التفتيش الفنى) . كانت أمنيتها العمل طبيبة ، ولكن رغبة والدتها كانت دراسة الحقوق فالتحقت بها لتصبح أول سيدة تدخل المجالس القضائية العليا .

د. هيلانة سيداروس

أول طبيبة مصرية . مواليد طنطا عام ١٩٠٤ . بعد دراستها الابتدائية التحقت بالقسم الداخلى بمدرسة السنية للبنات بالقاهرة . وبعدها بكلية إعداد المعلمات . وفى نهاية السنة الثانية تم ابتعاثها إلى لندن ١٩٢٢ للتخصص فى الرياضيات ، وتعد هى وزينب كامل حسن من أوائل الدارسات بإنجلترا . التحقت بمدرسة لندن الطبية لتدرس الطب مع خمس مصريات آخريات . وأصبحت طبيبة مؤهلة ١٩٣٠ وعادت لمصر لتعمل فى مستشفى كتشنر ولتصبح أول طبيبة مصرية . وافتتحت عيادة خاصة بها وقامت بالتوليد وإجراء العمليات الجراحية بالمستشفى القبطى . استمرت فى عملها حتى جاوزت السبعين فاستقالت وتفرغت لكتابة قصص مترجمة للأطفال .

وداد شلبى

مواليد الإسكندرية فى ١٤ سبتمبر ١٩٤٢ . دبلوم تجارة ١٩٦٥ . عملت بالشركة المصرية للملاحة البحرية وأصبحت عضوة مجلس الإدارة . نائبة رئيس النقابة العامة للنقل البحرى (أول سيدة) وعضوة بالمجلس الشعبى بالإسكندرية . فازت بمقعد المرأة فى انتخابات مجلس الشعب عن الحزب الوطنى ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧ . وفازت فى الانتخابات الفردية ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥ . شاركت فى مؤتمر تحرير المرأة بألمانيا ١٩٨٤ . عضوة المؤتمر العام لاتحاد عمال مصر .

تركيا : الأمة الغاضبة
سلطة غشوم فى مواجهة شعب مغبون

إعداد : أحمد محمد إنبيوه

لم يلعب الأحمر القانى دوراً محورياً فى مصير وتاريخ أمة كما لعب فى تاريخ الأمة التركية ، سواء فى صيغتها العثمانية أو الكمالية ؛ إذ كان العنف المفضى إلى الدم هو السلوك السياسى المثالى الذى أنتجته الإدارة التركية إزاء أزمة البقاء / الفناء ، التى مابرحت تُهدد كيان الدولة من آن لآخر . تلك باختصار كانت هى قضية كتاب «تركيا الأمة الغاضبة» لـ كرم أُوكتم ، زميل باحث فى مركز الدراسات الأوربية كلية سان أنتونى ، وذلك عن دار سطور الجديدة ٢٠١٢ فى طبعة أنيقة من القطع المتوسط ، ترجمة مصطفى مجدى الجمال وبتقديم للطبعة العربية للأستاذ الدكتور عاصم الدسوقى .

جعل المؤلف من العنف قضية مركزية فى كتابه ، لكننا لم نجده يُركز على العنف فى محض سياق سردى ، بل وجدنا همه واهتمامه منصباً على عملية البحث فيما وراء هذا العنف . بمعنى آخر ، حاول الباحث أن يخوض غمار محاولة تحديد الفاعلين الحقيقيين - جبل الجليد - فى التجربة السياسية التركية المعاصرة . أو بسياق آخر ، البحث فى العلاقة الجدلية التى حكمت مسيرة تركيا القرن العشرين ، وبالأحرى نصفه الثانى ؛ حيث كانت السلطة فى الواقع سلطتين . الأولى : تُحرك من وراء ستار ، وقد أسماها المؤلف «الدولة الحارسة» أو «الدولة العميقة» ، متخذة من العنف قناعاً ومبرراً للتدخل «فى الوقت المناسب» لأجل إنقاذ الوطن ، لكنها فى الغالب تقع فى منأى عن مقصلة العقاب . والثانية : هى الحكومة المُنتخبة من الجماهير بشكل مباشر ، لكنها ليست صاحبة القول الفصل . ورغم ذلك فقد حُمِّلت أوزار تدخّلات الدولة الحارسة . وبين هذا وذاك ، شعب يُراد له الصالح ؛ لأنه لا يختار إلا الطالح . والملاحظة المبدئية على ذلك ، أننا بذلك التحليل قد أصبحنا أمام شبكة معقدة من الفاعلين فى المنظومة السياسية التركية .

يُمكن البناء على ذلك بالقول : أن المؤلف حاول حل لوغاريتم المعادلة السياسية آنفة التوصيف ، وذلك عبر الحديث عن «تركيا وتاريخها الحديث المضّطرب» . فيتعرض الكتاب للمؤسسات السياسية وللأيديولوچيات ، للأحزاب والنخب السياسية ، ولمنظمات المجتمع . . يسعى الكتاب إلى تبيان وتفسير دور الدولة فى تاريخ البلاد والأثير الحاسم لـ «حماة الجمهورية» غير المنتخّبين (قيادة الجيش والقضاء الأعلى والبيروقراطية) والذى

يُشكل السياسة التركية منذ الخمسينيات على الأقل .

على جانب آخر يُمكن القول ، أن المؤلف وقع فى اختيـاره لموضـوع الكتـاب تحت ضـغط عـدد من السياقات ، تمثلت فى محاولات استنكاء المسكوت عنه فى تاريخ تركيا المعاصر . وسياق شخصى ؛ لاهتمام المؤلف بقضايا الهوية والأقليات وعلاقة السلطة بالجماهير عبر تلك القضايا . وثمة سياق ثالث متمثل فى الاهتمام الغربى بدراسة تجربة الصعود التركى وإخضاعها للدراسة الأكاديمية الجادة . هذا عن سياقات المؤلف ، أما عن سياقات المترجم ؛ التى دفعته إلى تقديم الكتاب لقراء العربية ، فيُمكن القول ، أن الكتاب جاء فى سياق خضم زخم ثورى ، وفى إطار حديث متواتر ومتصاعد ـ من قبل قطاع من النخبة السياسية ومن قبل السلطة بعد اعتلاء الإخوان سدة الحكم ـ عن البثور التى اعتورت واعترضت المسيرة الثورية ، وفشل الثورة فى تحقيق كامل أهدافها ، وعجزها عن الانسياب إلى داخل مفاصل وشرايين جسد الدولة المصرية ، وحدوث حالة الانفصال بين الدولة والثورة . وقد أُلقيت التبعة فى ذلك كله على ما أُصطلح على تسميته «الدولة العميقة» . ومن ثم ، جاءت ترجمة هذا الكتاب فى التوقيت المناسب لعدد من الدوائر ، التى كانت ترى فى الدولة العميقة السبب فى حالة الفشل الثورى . يكشف عن هذا مقال لفهمى هويدى نشره بجريدة «الشروق» فى ١٢ يولية ٢٠١٢ ، ويستشهد فيه بالكتاب كدليل على أن المؤسسة العسكرية ، وبقية عناصر الدولة العميقة ، لازالت تلعب أدواراً ولو من وراء ستار . . حديثاً عن المسكوت عنه .

لقد كانت تركيا عشية الثمانينيات فى حالة «حرب مع نفسها ؛ اغتيالات سياسية ، وعنف مجتمعى وقتل عشوائى ، وأنشطة أصابت الحياة اليومية بالركود التام . وعلى السطح كان الجيش يتدخل بدعوى إنقاذ الأمة» . السؤال الذى يطرح نفسه ، لماذا كان كل هذا العنف ؟ لا يُمكن فهم ذلك دونما الرجوع القهقرى إلى رحابة التاريخ .

إن الجزء الأكبر من هوية تركيا اليوم وكذا سلوكها السياسى فى الملمات يسكن فى باطن حقب غابرة ، أغلبها يعود إلى الأيام الأخيرة من عمر الدولة العثمانية «فمعظم الأيديولوچيات التى هيمنت على السياسة التركية المعاصرة فى تركيا وعلى الكثير من الثقافة السياسية لنخب الدولة ، ترجع أصولها إلى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؛ إذ كانت القومية التركية ـ الإسلامية لتركيا الفتاة ، والنظرة (البقاء للأقوى) لزعماء جمعية الاتحاد والترقى هى التى أرست معالم القومية التركية عند مطلع القرن العشرين» . وقد خلقت أجواء انهيار الإمبراطورية ، وكذا ظروف الحرب العالمية الاولى طغطاً ومبرراً فى آن لجمعية الاتحاد والترقى ؛ لتنفيذ شعار تركيا للأتراك . فى هذا الإطار، كانت «اللحظات الأكثر خزياً فى انهيار الإمبراطورية العثمانية» ؛ إذ جرت عمليات إبادة منظمة ضد الأرمن . ومن ذلك يُمكن القول أن ممارسات الاتحاد والترقى قد أضحت إرثاً سياسياً للنخب الحاكمة فيما بعد ، وهو ما يُمكن تسميتها بسياسة التلاعب من خلف الكواليس . «وهى عقلية سياسية تتشكل من الاختيار المتطرف ما بين البقاء / الفناء ، الاستقلال / العبودية ، تقديس الدولة كشرط مسبق لبقاء الأتراك المسلمين ، وإنكار الهويتين الكردية والأرمنية ، وشعور إطلاقى بالمواطنة يعتبر المسلمين الأتراك هم أصحاب الحق الوحيدين فى امتلاك الدولة . وبالرغم من هلاك الإمبراطورية ، فقد شكلت تلك المشاعر والمواقف الجمهورية التركية الناشئة ، وكذلك المجادلات السياسية المعاصرة» .

ثم كانت المهمة الرئيسية للجمهورية فى أول عهدها هى «إعادة بناء بقايا إمبراطورية دُمرت على مدى أكثر من عقدين . بيد أن إعادة البناء تضمنت إعادة تشكيل أيضاً ، حيث شهدت العملية التطبيق الكامل لبرنامج التحديث لجمعية الاتحاد والترقى التى انحدر منها معظم قادة الجمهورية . وقد أسهم الحكم التسلطى التحديثى لتلك الفترة ، ومرتكزاته الأيديولوجية . . فى بلورة البنى السياسية والقسمات الأيديولوچية لتركيا الحديثة . وخلال العقود الثلاثة الأولى للجمهورية ، والتى كانت ديكتاتورية فى كل شيء ، بنت الدولة الجديدة أيديولوچيتها وثقافاتها الخاصة ـ التى أسميت فيما بعد بالكمالية ـ وحدّدت من هو المواطن المثالى» .

لا غرو إذن ، أن نصف عملية التحديث التى تمت ، بأنها تمت فى «جو عاصف» . لم يكن ليُسمع فيه غير صوت سياسى واحد ؛ هو النظام الكمالى وحزب الشعب الجمهورى . وفى ظل هذا السياق الأحادى ، تمت عملية تحديث وعلمنة المجتمع ، قانونياً وتشريعياً وثقافياً ، كما تم تغيير اللغة والعاصمة كأمور ذات قيمة دلالية ورمزية . وقد تمخض عن «كمالية» النظام السياسى التركى ، أن انزوت كثير من الفئات الاجتماعية والسياسية وكذا العقلية الفاعلة من دائرة العلن . لكن حينما غاب «الرمز الكمالى» عن السماء التركية ، تبدلت تركيبة المشهد . «فالإصلاحات لم تخلق أول الأمر سوى طبقة رقيقة من الحداثة انحصرت غالباً فى الطبقات المتوسطة الحضرية بغرب تركيا . وبالرغم من القوانين المدنية والمساواة القانونية ، بقى قانون الأسرة تحت هيمنة قواعد الشريعة الإسلامية . كذلك تحت الطبقة الحديثة الظاهرية ، ظلت البنية الإقطاعية والنزعة المحافظة تحكمان الحياة الريفية» . وقد نتج عن هذا التناقض ، حالة من الغضب الشعبى المكتوم ، كان من تجلياته : احتقانات اجتماعية ، عداوات عرقية ، ومناوءات سياسية . ومن ثم ، مهدت تلك الحالة لظهور «الدولة العميقة» كفاعل ولاعب مؤثر على المسرح السياسى . فما قصة ذلك الفاعل السياسى؟ . لذلك حديث .

قوى الكواليس : الميلاد والتطور والتداعيات

شهدت تركيا فى عام ١٩٥٠ ، إجراء أول انتخابات يُمكن أن تُوصّف بأنها كانت حرة ونزيهة ، أنهت حكم الحزب الواحد . وقد أفضى هذا التحول الديمقراطى ، وصعود قوى الظل السياسى بصندوق الانتخابات ، إلى إضفاء قيمة على «الإرادة الشعبية» فى المعادلة السياسية . ومن ثم ، كان هذا كفيلاً لإثارة مخاوف فئات من داخل جسم الدولة (الجيش والبيروقراطية والقضاء) . لذلك حدث ما يُشبه التحالف فيما بينها ، خشية أن تتغير قواعد اللعبة السياسية فى غير صالحهم . وقد أخذوا على عاتقهم «التدخل بانتظام من أجل الاحتفاظ بعدم خروج الحكومات المنتخبة عن النهج المطلوب» . تلك كانت «أجواء الميلاد» الظرفية للدولة الحارسة . لكن يبقى أن نقترب أكثر من فكرة وبنية وآليات عمل «الدولة الحارسة» .

عطفاً على ما سبق ، يُمكن القول ، أن «الدولة الحارسة هى بنية للسلطة تُوجد ضمن هيراركية الدولة ويتم تدعيمها بالصلات الشخصية على أعلى المستويات ، وهى تمتد إلى كل مناحى الحياة ، ويُمكن بسهولة أن تتشجع للقيام بعمل ما يتطلبه الحفاظ على الدولة . وتستخدم الدولة الحارسة كل الأساليب والإجراءات الضرورية للحفاظ على عهد الحزب الواحد الذى انبثقت منه . كما تتحدد رؤيتها للعالم وفق رؤية الحركات القومية السرية فى القرن التاسع عشر ، التى مهدت الطريق للحركات الإيديولوچية والسياسية الرئيسة فى تركيا القرن العشرين ، أى حركة

التحديث القومى التركى ، وبالضرورة للتغطية على اللحظات المظلمة فى نشأة الجمهورية ، مثل إبادة الأرمن وتصفية العلويين فى ديرسيم فى الثلاثينيات . ويتلخص الأسلوب الرئيسى لحكم الدولة الحارسة فى أفكار «فرق تسد» . ولعل الملمح المميز للدولة الحارسة، هو تلك الأهمية المعطاة لحماية الدولة حتى بالتعارض مع العمليات السياسية المشروعة . فيتم الحكم عن طريق خلق العداء والصراع بين الجماعات المختلفة ، واستغلال الاختلافات الدينية أو اللغوية ـ كما هو الحال مع العلويين والأكراد ـ ودفع الجماعات السياسية نحو التطرف . من ثم ، يُتوقع لكل الصراعات أن تتفاقم بما يخلق المبررات للتدخل الصريح من جانب الجيش . كان هذا هو الحال فى انقلابات ١٩٦٠ و ١٩٧١ و ١٩٨٠ و ١٩٩٧ .

ويستمر المؤلف فى الحديث عن الدولة الحارسة ، فيقول : «ولقد أُعطى تحالف الحراس هذا تسميات مختلفة تراوحت بين «قلب الدولة» ، « دولة الأمن» ، و«حراس الجمهورية» ، وانتهاءً بـ «الدولة البريتورية» . ويملك أولئك الحراس هيئات سرية وعلنية تُنفذ الأعمال القذرة للتآمر السياسى مثل : التنظيم الخاص لجمعية الاتحاد والترقى ، المكتب الحربى الخاص ، حُراس القرية ، وشرطة مكافحة الإرهاب . وقد ارتكبت جميعاً الكثير من الجرائم وقتلت الآلاف باسم الدفاع عن الدولة ضد الأعداء المتصوّرين . من ناحية أخرى ، فقد وجدت منذ الانتقال إلى الديمقراطية ، أواخر الأربعينيات ، حكومات قوية . وقد تعايشت هذه الحكومات تعايشاً صعباً مع الدولة الحارسة . وفى لحظات تاريخية رئيسية ، لم تكتف تلك الحكومات بتمثيل قطاع عريض من الإرادة الشعبية ، وإنما عملت أيضاً على إدماج الجماعات الاجتماعية الناشئة ومطالبها فى النظام السياسى . كانت هذه هى الحال وقت انتخاب الحزب الديمقراطى وحكومة مندريس عام ١٩٥٠ ، والفترة الفاصلة لحكم حزب الشعب الجمهورى بقيادة أجاويد فى السبعينيات ، وانتخاب تورجوت أوزال رئيساً للوزراء عام ١٩٨٣ ، والنصر الانتخابى لحزب العدالة والتنمية عام ٢٠٠٢ . وقد كانت هذه الحكومات قوية فى أحسن الأحوال بما يكفى لتحدى الحراس والاحتفاظ بالجيش والقضاء والبيروقراطية فى مواقعها دون تدخل فى الحكم» .

ثم يصل بنا كرم للحديث عن المنطقة الرمادية الفاصلة بين الدولةَ الحارسة والحكومة الفعلية فيقول : «إن التمييز بينهما لم يكن قط بمثل ذلك الوضوح الذى افترضه بعض النقاد . فأولاً : هناك صلات واسعة بين المجالين ، بل إنه فى بعض الفترات التى تتسم بالاستقرار النسبى ، قد تتراجع الدولة الحارسة إلى الوراء ، ويلتزم الجيش والقضاء بالتزاماتهما الدستورية . أما فى الأوقات الخاصة ، وخاصة أثناء التدخلات العسكرية ، فإن ثنائية النظام تغدو أكثر وضوحاً ، وإن لفترات قصيرة فحسب . تلك هى اللحظات التى يستهدف الجيش جماعات وأفراداً معينين ، فيتم تعذيبهم ومحاكمتهم وإدانتهم بواسطة الشرطة والمحاكم ، بينما تتم حماية القائمين بالتعذيب من أية ملاحقة . . . ثانياً : قد تقلّدت الحكومات المنتخبة الدولة الحارسة فعلياً سواء فى المنهج أو فى الخطاب . ومن ثم ، تُطمس الفروق بينهما ، مثلما كان الحال فى فترة حكم تانسو شيلر ، والتى انتهجت فى أواخر التسعينيات سياسة بالغة العنف ضد الأكراد . أخيراً ، من الممكن أن ينتهى الحال بالأفراد والجماعات بأن يُستخدموا من جانب الحراس أو وسطائهم حتى دون أن يُدركوا طبيعة الذى يقومون به فى خدمة مشروع أكبر . ومن الأمثلة على ممارسات الحكم للدولة الحارسة فى هذا الصدد : «استغلال الطلاب اليساريين ضد اليمين فى الأربعينيات

والستينيات ، استخدام اليمين المتطرف وتملق الحراس للإسلاميين ضد الحركات الاشتراكية فى الستينيات والسبعينيات ، وكذلك استخدام العلويين والعلمانيين والديمقراطيين الاجتماعيين ضد حزب العدالة والتنمية فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين» .

بين الانقلابات والحراس والجماهير

لقد اقترن تدخل الحراس فى المشهد السياسى التركى المعاصر بتصاعد موجات العنف ، تجاه الأقليات العرقية وتجاه المعارضة السياسية ، فكلاهما «أعداء» من زاوية مصلحة الأمة التركية العليا . فقد كان من نتائج دستور ١٩٦١ ، إنشاء المحكمة الدستورية ، التى «استخدمت نظاماً للضوابط والمراقبة» ، غير أنه أُستخدم غالباً ضد الحكومات المنتخبة . فعقب انقلاب ١٩٦٠ ، وعقب إصدار الدستور الجديد ، أُعتقل الرئيس حلال بايار ومجمل حكومة الحزب الديمقراطى بمن فيهم رئيس الوزراء مندريس وأعضاء البرلمان بتهمة «خرق النظام الدستورى» . وفى أكتوبر بدأت المحاكمات ذات الطابع البدائى . . فأهدرت حقوق المدعى عليهم ، وأُعدت الأفلام والبرامج الإذاعية التى شوهتهم فى الرأى العام» .

وفى ذات السياق ، كان تدخل الجيش فى مارس ١٩٧١ . وكان الداعى للتدخل هذه المرة ، أن الحكومة والبرلمان «يأخذان البلاد نحو الفوضى والاقتتال والاضطراب الاجتماعى والاقتصادى» . وقد تعاطى قادة الانقلاب بعنف مفرط إزاء قادة المجال العام وقتذاك . إنهم باختصار شباب الحركة الطلابية فى الجامعات ، واليساريون . فما كان من هؤلاء ، إلا أن لجأوا للعنف كآلية دفاعية ضد غشومية السلطة . وما كان ذلك إلا تعبيراً عن الغضب الجماهيرى المكتوم . ويُمكن وصف الحال التركى فى عموميته بأن « الدولة الحارسة ، استولت على المجال السياسى بعد تدخلها عام ١٩٧١» .

وصلاً بما سبق ، أدت سنوات السبعينيات الكئيبة ، إلى أن تصل تركيا فى صيف ١٩٨٠ إلى «حالة حرب مع نفسها : اغتيالات سياسية ، عنف مجتمعى ، قتل عشوائى ، وأنشطة مسلحة . . أصابت الحياة بالركود التام» . فكان على الجيش أن يتدخل ، وعلى الدولة الحارسة أن تنشط ، بعدما أدرك كلاهما أن «ممارسة السياسة من وراء الكواليس لم يُحقق النتائج المطلوبة» . ومن ثم ، أضحت تركيا على أعتاب «إعادة هيكلة للبنية السياسية والاقتصادية والثقافية» . وهنا يثور التساؤل ، كيف تفاعل المجتمع بأطيافه المختلفة مع ذلك ؟

يقول كرم ، واصفاً دولة الجنرالات ، عشية ثمانينيات القرن العشرين : «أضفى الجنرالات البربرية على المجتمع قدر استطاعتهم . ومن أجل تحقيق رؤيتهم للمجتمع النقى ، استهدفوا الأفراد والجماعات الذين اعتبروهم منحرفين أخلاقياً . فعصفت هجماتهم ، بمعنى الكلمة ، بالنوادى الليلية وقاعات الموسيقى فى سائر أنحاء البلاد» . وإزاء تلك الانتهاكات ، «قام المخرج السينمائى سرى سوريا أوندر ، بفضح هذا الانتهاك المتعلق بالنوع والسياسات الثقافية لنظام سبتمبر فى فيلمه المؤثر (الدولى) عام ٢٠٠٧» . ورغم القيود والقمع والمعتقلات فقد «نشأ مجتمع مدنى وحركات سياسية جديدة» . مثلت دماء جديدة ، أخذت تجدد شباب قوى الرفض السياسى ذات السمت الشعبى . وفى سياق متصل «كانت الحركة النسوية ، هى أول حركة اجتماعية ظهرت بعد الانقلاب العسكرى . أما مبعثها المباشر ، فكان الغضب من تصريح أدلى به أحد القضاة ، رأى فيه أن من حق الزوج استخدام العقاب البدنى ضد زوجاته . وفى ١٧ مايو ١٩٨٧ خرج إلى

الشوارع فى حى كاديكوى باسطنبول حوالى ألفى إمرأة من مؤيديهن ، ورددت المتظاهرات شعارات مندد بالعنف الذى يُمارس على النساء من الآباء والأزواج والإخوة ، وكذلك من حُراس المجتمع الأبوى . . . وأسس آخرون منظماتٍ المجتمع المدنى مثل الجمعية التركية لحقوق الإنسان عام ١٩٨٦ . وواجه أعضاء المنظمة ضغوطاً قوية ، وسوء معاملة من الأجهزة الأمنية ومؤسسات الدولة» .

يُمكن القول إذن ، أن مزاج الرفض السياسى والاجتماعى ، قد جاء من قوى غير منظمة ، ولها السمت الشاب ـ بشكل ما ـ وتنتمى فى غالبيتها إلى الطبقة المتوسطة . ورغم اشتداد حرارة النفس المعارض ، إلا أنه لم يوقف دوران عجلة العنف ، الذى تُديره الدولة «الدولة الحارسة » . وإذا كان عنف الثمانينيات موجهاً إلى الجميع ، فإن عنف التسعينيات قد اتشح بالصبغة القومية ؛ إذ كانت فوهات البنادق مصوبة إلى صدور الأقليات العرقية : من أكراد وعلويين ، وأفراد من النخب الأرمنية والكردية والعلوية . ففى «وقت متأخر من ليلة ٥ يولية ١٩٩١ ألقت الشرطة القبض على فيدات أيدن فى منزله بديار بكر ، وهو أحد نشطاء حقوق الإنسان الذى يتمتع باحترام واسع ، ورئيس حزب العمل الشعبى ، وبعد ذلك بيومين عثر على جثته وعليها آثار التعذيب ملقاة على جانب الطريق . لقد تعرض للتعذيب والقتل المئات من المثقفين والنشطاء المتعاطفين مع قضية الأكراد . . . وقد استمر قتل الشخصيات العامة بقتل الكاتب الثمانينى موسى عنتر فى سبتمبر ١٩٩٢ ، والنقابى الكردى زبير أُكوتش فى يناير ١٩٩٣ . وفى سبتمبر أيضاً أُطلق الرصاص على محمد سنجار عضو البرلمان عن حزب العمل الشعبى المؤيد للأكراد» . وعلى جانب آخر «استهدفت المذابح العلويين أيضاً فى شرق تركيا وفى إسطنبول نفسها» . وهكذا تدهورت أوضاع حقوق الإنسان فى البلد بأكمله .

رغم تكثيف الدولة الحارسة للسعات سياط عُنفها على الأكراد ، إلا أن انقلاب فبراير ١٩٩٧ قد أعاد إلى الأذهان أجواء الثمانينيات الكئيبة ؛ إذ عادت الدولة الحارسة ـ ممثلة فى الجيش ـ للتدخل فى المشهد السياسى ، بعد أن استشعرت ، أن مكانتها ودورها قد أصبحا قيد المساءلة والمراجعة ، بعد الانتقادات الواسعة التى وجهت لمسئولى الأمن والإدارة المحلية ، كأحد أذرع الدولة الحارسة ، متزامنة مع مذابح سيفاس وغازى . أضف ، أن ما يُسمى بالإخوانيات الإسلامية ـ الذراع الاقتصادى والاجتماعى لتيار الإسلام السياسى ـ قد أضحت تُسيطر على القاعدة الاجتماعية . لكل ذلك ارتأت الدولة الحارسة وجوبية التدخل . لكن التدخل هذه المرة ، كان مصطبغاً بالصبغة الأيديولوچية ؛ بغية التقليل من من غلواء اختراق التأثير الإسلامى للهوية التركية ، وضخ دماء جديدة فى شرايين فكرة علمانية الدولة . كذلك ، للتأكيد على مقولة «الجيش حامى حمى الأمة التركية» . وذلك كله ، بالتركيز على عقول الشبيبة التركية . «تعرضت الجامعات التركية لما أدخلته قيادة الجيش والمسئولون المطيعون من نظام للخوف والجنون العسكرى : فقد حظر رئيس مجلس التعليم العالى كمال جوروز ارتداء الحجاب فى جميع الجامعات . . . وفى جامعة إسطنبول ابتكر نور سيرتر ، نائب العميد ما أُطلق عليها «غُرف الإقناع» . وفيها أستاذة مختارة بعناية لإقناع الطالبات بعدم ارتداء أى شكل من أشكال الحجاب . وفى الواقع ، كان هذا العصر عصر الإرشادات الموجزة ؛ فقد نظم الچنرالات اجتماعات كثيرة للتنفيذيين من مختلف المهن . . ألقوا عليهم محاضرات عن مخاطر الإسلام السياسى . . . غير أن النتيجة الأكثر خطورة لهذا الانقلاب كان نظام

المراقبة، الذى بلغ مستوى عالياً من الاستالينية ، فتمت تعبئة شبكات الدرك ، وجمع المعلومات من البلديات والمحافظين وإدارة الجامعات . ومن ثم ، فقد وضع الجيش عدة ملايين من الأفراد تحت المراقبة».

هكذا يُمكن القول ، أن تلك الانقلابات والتدخلات من «قوى الكواليس» فى المجال العام ،أخرجت مارد «الإرادة الشعبية» من قمقمه ، متمثلاً فى شكل نقد سياسى وثقافى واجتماعى لتلك الحقب « المظلمة» فى تاريخ تركيا . وكذلك اختيارها لقوى الإسلام السياسى فى أغلب الانتخابات الديمقراطية التى شهدتها تركيا المعاصرة . والمفارقة الصارخة ، أن ربيع تلك الحكومات المنتخبة ، كان قصيراً ـ غالباً ـ ؛ وذلك لتدخلات الجيش الانقلابية ـ ممثلاً للدولة الحارسة ـ المتكررة بداعى الحفاظ على «الكيان التركى» . وقد ظلت تلك المعادلة مسيطرة على مسرح السياسة التركية، إلى أن كانت انتخابات نوفمبر ٢٠٠٢ ، إذ تمخضت عن فوز حزب العدالة والتنمية بالأغلبية البرلمانية . وهو أفضل أحزاب الإسلام السياسى تعاطياً مع الخريطة السياسية المعقدة ، ومع الإيديولوچية العلمانية ، ومع حُراس الجمهورية .

إذن ، كانت انتخابات ٢٠٠٢ بداية لتغيرات عميقة فى بنية النظام السياسى التركى . فمنذ تلك اللحظات ، بدأت عملية تبدّل فى الأوزان النسبية للفاعلين السياسيين . وبدا أن ظاهرة ازدواج السلطة فى طريقها للانحسار التدريجى ؛ إذ تلازمت عملية تثبيت العدالة والتنمية لأقدامه فى صدارة المشهد التركى ، مع بداية تساقط الأقنعة عن الدولة الحارسة ، وتعريتها أمام الجماهير ، والكشف عن أدوارها «القذرة» التى لعبتها فى تاريخ تركيا المعاصر . وقد جاء العام ٢٠٠٧ ، ليكون ذروة دراما تساقط الأقنعة ؛ إذ أنه عندما بدأ مكتب المدعى العام فى إسطنبول ، التحقيق فى الظروف الخاصة بواقعة العثور على صندوق مملوء بالقنابل اليدوية ، ويتبع قيادة القوات الخاصة فى طرابيزون فى البحر الأسود . كان المحققون على يقين بأن تحقيقاتهم سُتغير مسار التاريخ التركى .

اختصاراً ، أُوصلت تلك الاكتشافات المذهلة الصادمة ، كثيراً من الأتراك للتعليق على «كفاءة الجيش وقدرته على حماية المجندين تحت إمرته» . وفى ذات السياق ، حدث ما « لم يكن من الممكن تصوره قبل عقد واحد . خرج آلاف المحتجين الى الشوارع للهتاف ضد الحراس وتدخلهم فى الحياة العامة . . . اشتركت أعداد متزايدة من الليبراليين والتقدميين والإسلاميين والديمقراطيين فى احتجاجات الشوارع ، والفعاليات المناهضة للعسكر ». ويبقى السؤال ، هل بهذا الغضب الشعبى المتزايد ، أضحت الدولة الحارسة تسير فى طريق الانقراض الديناصورى ؟ . يُجيب المؤلف عن ذلك فى نهاية كتابه ، فيقول : «يفقد الحراس قوتهم بسرعة ، ولكنهم يعتمدون الآن على قاعدة اجتماعية يزايد لديها التقوقع والخوف من الآخر، والتى تنظر إلى الرجال والنساء فى الشوارع كجهلاء يدّعون التّدين ، كما تُحاول تعويض خسارتها السياسية والاقتصادية ومكانتها الاجتماعية ، من خلال التركيز على نخبوية ثقافية عدوانية ومشينة» .

وختاماً ، وفى جملة واحدة . كان حديث الكتاب عن تركيا « المشروخة» لا عن تركيا «المزعومة» ، عن تركيا « الساكنة » وتركيا « الفائرة » ، عن تركيا «الديمقراطية» وعن تركيا «وراء الكواليس» . من أجل ذلك كله ، كانت تركيا أمة غاضبة . ومن ثم ، كان دأب المؤلف البحث فيما وراء هذا الغضب .